

على سبيل الاستهلال اللابد منه

له الأوراق المغربية، وهو القادر على الحديث دون موارد عن زمن السياسة عبر ديوانها، وهو "الغربة" وهو "البيتيم" وهو أيضا مجمل تاريخ المغرب، فمفهوم الأيديولوجيا الشهير، ثم مفاهيم الحرية والدولة قبل مفهوم التاريخ، وهو الخواطر الصباحية الشهيرة وبقية المؤلفات التي تعد إسهاما فعليا وحقيقيا في التأسيس لفكر مغربي آخر، منطلق، حر، له العلاقة المثلى بالمعرفة التراثية: علاقة الرغبة في النهل منها حد الاستفادة ثم المرور إلى الأشياء الأخرى. لذلك كان ضروريا الإنصات لصوته في النازلة. والنازلة هنا أمر جليل للغاية يسمى لسان الناس ولغتهم، خصوصا بعد دعوة أطلقتها توصيات صادرة عن ندوة علمية من أجل تبني التدريس بالمغربية الدارجة خلال سنوات التعليم الأولى. صوته أتى يوم الحديث الأول معه عن الموضوع حاسما ولا يقبل أي نقاش: أريد أن أتحدث في هذا الموضوع. في مثل هاته اللحظات تحس بوزن المتكلم الفعلي وقد تبني خيار الإسهام حقا في نقاش بلاده ومواطنيه، وقرر ألا يبقى في البرج العاجي الشهير الذي يهرب إليه أمثاله تخوفا أو تحرجا أو تزلزا أو اختيارا للبقاء غير مبالين نهائيا.

هو أصلا فعلا أيام 20 فبراير، وأيام ما عرف بالربيع العربي، وأعطى رأيه الواضح والصريح في الحكاية ككل، وهو يعود ليفعلها مرة أخرى هنا في قضية اللغة المغربية العربية من خلال حديث طويل عريض لا يترك أي تفصيل إلا ويطرده لكي يصل في الختام إلى ما يعتبره الصواب اليوم، ولكي يطلق النداء واضحا وصريحا من أجل عدم التضييق بسهولة في الثقافة العربية واللغة في مقدمتها شرط القدرة على التطوير وعلى الالتحاق بالزمن الحديث، زمن كل اللغات خصوصا منها الإنجليزية.

على امتداد ثلاث ساعات تحدث الكبير العروي بكل صراحة، وبكل صدق، وبكل إيمان واضح وظاهر بالقضية. قضية اقتناعه أن وراء الأكمة أشياء يجب أن تقال لئلا يقال في يوم من الأيام إنه صمت ولم يعلن الموقف مثلما يجب أن يخرج إلى العلن.

في بهو الهيلتون الرباطي الشهير، لم يترك لألة التسجيل فرصة الانطلاق ولم يترك لنا فرصة الجلوس لكي يشترع في الحديث "هذا الموضوع وحده استطاع أن يخرجني من مقبعي، لأنني لا أستطيع السكوت عنه، ولابد من قول بعض الكلام". ذلك الكلام، كله أو بعضه، أو ما اقتنصت آلة التسجيل من بحار العروي، وما بقي في الذاكرة من اللقاء، وما يجب أن يصل إلى الناس في هاته اللحظات هو المكتوب على ثلاث حلقات أيام الأربعاء والخميس والجمعة، رسالة من مؤرخ ومفكر وكاتب كبير يمتلك كل شرعيات الحديث عن الموضوع، ويمتلك أساسا شجاعة الإقدام على الخوض فيه في لحظة قرر فيها العديدون أن يتناولوه إما بالاعتداء الجاهل عليه، أو بالتجريح في مخالفيهم الرأي، أو باختيار الاصطفاة العقيم وراء المسلمات الجاهزة دون رغبة في الفهم، أو حتى محاولة "ارتكاب" هذا الفهم قبل الانطلاق في التنظير والكلام الكبيرين. نصيغ السمع لعبد الله العروي في التالي من الأسطر، ونسمع منه كل الكلام. نتابع

عبد الله العروي

مفكر ومؤرخ مغربي

تصوير: محمد وراق

حاوره: المختار لغزيوي / جمال زايد

لهذا خرجت من مقبعي

التدريس بالدارجة يروم تقويض الوحدة الوطنية

شيئا جديدا إلى الشفوي.

هذه النقطة تحتاج إلى المزيد من التوضيح حتى يستوعبها القارئ.

نسمي المكتوب كتابا، ونسمي المدرسة كتابا، والمتعلم هو الذي يعرف الحروف وتعلم كيف يفك رموزها بقراءتها وفهمها. لذلك جاءت المدرسة، وهذه هي الغاية المتوخاة من المدرسة. المدرسة لا علاقة لها بالبيت، والمدرسة لا تربطها أدنى صلة بمسائل التفاهم خارج البيت وفي الشارع. هنا تدخل رجل متخصص في الشفوي وأموره العينية، في شؤون المدرسة التي هي شؤون الكتابة، ولا علاقة لها بالشفوي والتواصل في البيت والشارع. العربية هي لغة الكتابة، ولا دخل لها في شؤون التواصل في البيت والشارع، وهي لغة المدرسة. إذا كان الطفل يبلغ خمس سنوات، وبدأت تفسر له الأمور تفسيراً شفوياً، عليك أن تعلمه الرمز. ينبغي تعليم الطفل الرمز الكتابية. أقدم هنا مثالا نادرا ما يفكر فيه المهتمون بهذا الشأن، يتعلق الأمر بالموسيقى، والموسيقى الشعبية على الخصوص، الجميع يعلم أن هذه الموسيقى تلقائية، وحتى يتم الحفاظ عليها ينبغي كتابتها حتى لا تضيع.

كتاب الأغاني للأصغاري لم يدون الأغاني بالنوثة المعروفة الآن فضاعت تلك الألحان لأننا لا نعرف كيف تفك تلك الرموز التي كتبت بها الأغاني أيام العباسيين. الأمر نفسه بالنسبة للأوربيين الذين جهلوا كيف كان الغناء لدى الإغريق القدامى، لأن تلك الأغاني لم تكتب كتابة موسيقية تحافظ عليها، ونقلها للأجيال.



الدارجة

لكي ترسم يجب أن تكتب بحروف مناسبة. ما هي هذه الحروف؟ إما أن تكتبها بالحرف العربي وإما أن تكتبها بالحرف اللاتيني، لكن إذا اخترت كتابتها بالحرف اللاتيني ف عليك أن تخلق حروفا جديدة كما فعل الأتراك لما اختاروا كتابة اللغة التركية بالحرف اللاتيني

العربية

هي لغة الكتابة، ولا دخل لها في شؤون التواصل في البيت والشارع، وهي لغة المدرسة. إذا كان الطفل يبلغ خمس سنوات، وبدأت تفسر له الأمور تفسيراً شفوياً، عليك أن تعلمه الرمز. ينبغي تعليم الطفل الرمز الكتابية.

توصية التدريس بالدارجة

نعد الآن إلى أصل هذا النقاش ككل، نعد إلى توصية التدريس بالدارجة.

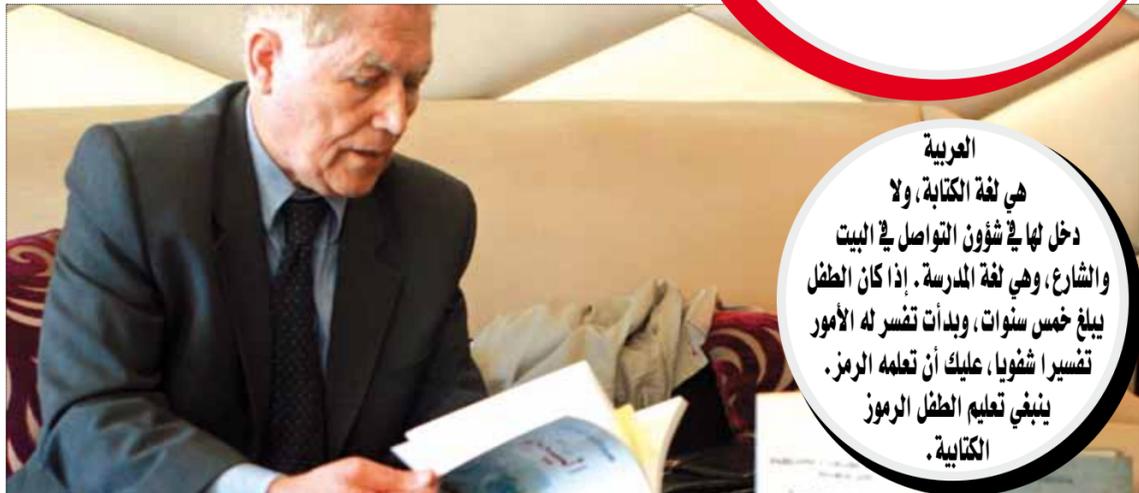
إذا كانت النقطة الأولى تتمثل في مشكل التلميذ الذي يلتحق بالمدرسة، وتمر عليه خمس سنوات ولا يحسن لا القراءة ولا الكتابة مقارنة بالتلميذ الإنجليزي أو الفرنسي والإسباني. إذن المشكل المطروح هو قضية التواصل، وهنا تدخل توصية التدريس بالدارجة المغربية التي خرجت بها ندوة "سبيل النجاح". لكن يا سادتي، التواصل هو موضوع الشفوي والثقافة الشفوية لها آلاف السنين لما انفصل الإنسان عن الحيوان، ووقف على قدميه وصار يستعمل يديه ويشغل بهما، وبدأ يستعمل حجراته في إنتاج الأصوات. هنا دخل الإنسان في الحضارة الشفوية، التي لها تعابير مختلفة ومواصفات خاصة بها، ثم دار الزمان وانتقل الإنسان منذ سبعة آلاف سنة إلى مستوى الكتابة أو استعمال الرمز في بلاد الرافدين. لا عرض لنا بالدخول في تفاصيل هذا الموضوع، ما يهمنا أن الشفوي لم ينحسر ولم ينته أمره بانتقال الإنسان إلى عهد جديد هو عهد الكتابة، بل على العكس، استمر في الوجود إلى جانب الكتابة. استمر الشفوي في الوجود على مستوى معين، إما على مستوى العائلة أو القبيلة الصغرى أو الكبرى، ليضمن التفاهم على هذا المستوى، إذ لا يمكن التفاهم مع قبيلة أخرى أو منطقة أخرى، خارج القبيلة. لضمان التفاهم مع هذا الخارج لابد من الرمز، الذي هو الكتابة، والكتابة هنا كانت إما مسمارية أو هيروغليفية، وإما أبجدية أو فنا، وكما

قلتم قبل انطلاق الحوار إن موضوع التدريس بالدارجة المغربية هو الذي أخرجكم من المخبأ حيث تقعون. كيف ذلك؟

أخرجني من مقبعي لأنني أنظر إلى أبعاده التي تروم تقويض الوحدة الوطنية. هذه قناعتي الراسخة في ما يخص موضوع التدريس بالدارجة. سبق لي منذ شهرين، أن تحدثت في هذا الموضوع مع ابن شقيقي الكاتب فؤاد العروي المقيم في هولندا، وقلت له صراحة أنا لا أتفق معك في ما كتبتة حول الدارجة، وأن هذه القضية أنجزت حولها بحثا، وأعلم أنه لم يطلع على ما كتبتة في كتاب "ديوان السياسة" حيث لخصت جميع آرائني حول الدارجة، وقدمت له أمثلة لا تعد ولا تحصى لأبين له أن هذه القضية لن تطبق، وأن نتائجها ستكون عكس ما كان يتوخى منها، وأنها تقوم على خلط كبير.

ما هو هذا الخلط؟

الدارجة لكي ترسم يجب أن تكتب بحروف مناسبة. ما هي هذه الحروف؟ إما أن تكتبها بالحرف العربي وإما أن تكتبها بالحرف اللاتيني، لكن إذا اخترت كتابتها بالحرف اللاتيني ف عليك أن تخلق حروفا جديدة كما فعل الأتراك لما اختاروا كتابة اللغة التركية بالحرف اللاتيني، وحتى عندما نتجج في هذه المهمة، فهل هذا ممكن أو غير ممكن. إذا كان ذلك ممكنا فحينها ستستقل الدارجة وتصير لغة قائمة الذات، وتنفصل حينئذ عن اللغة الأم. هذا ما حصل في جميع البلدان التي انفصلت فيها اللغات الشفوية عن اللغة الأم. هذا موضوع يهمني وأهتم به كثيرا، ويحتاج مني إلى ثلاثة أيام وليس إلى ثلاث ساعات.





ابني
يبلغ خمس سنوات
وأحقت بالمدرسة وطالبت المعلم
بأن يتحدث إليه بلغته التي هي الدارجة،
ماذا سيعلمه بتلك اللغة؟ هل سيتحدث المعلم
إلى الطفل ليعلمه لغته التي تربي عليها ويتقن
التحدث بها؟ هل سيلقنه الكلام الذي
يتكلم به؟ هذه هي الأسئلة التي
لا يطرحها المطالبون بتعليم
الطفل بلغته الأم

يمكن
أن ينجح في حفظ بعض
الآيات القرآنية في حصة التربية
الدينية، مثله في ذلك مثل أي تلميذ
أوربي ينجح في حفظ مقاطع من الإنجيل
باللغة اللاتينية، دون أن ينجح في فهم معناها.
سيصير التلميذ هنا كأي مسلم غير عربي في
ماليزيا أو أندونيسيا، ينجح في حفظ تلك
الآيات وترديدها صوتيا
دون فهمها.

الأهداف الأخرى للتوصية

ما علاقة هذا الكلام بالتدريس
بالدارجة عوض العربية؟

○ إذا سايرنا هذا المنطق، وأردنا أن نحافظ على موسيقانا المغربية، هل نقول "ماذا سنستفيد من تعليم الطفل كتابة النونات الموسيقية؟ وماذا سيستفيد الطفل وهو يتعلم رموز تلك الكتابة الموسيقية؟ لا غرض له بكل ذلك ولن ينفعه في تعلم تلك الموسيقى، يكفي أن يتعلم تلك الأغاني تعلمًا شفويًا! هل سنقبل هذا القول؟! لا فرق بين هذا المثال وقضية تعليم الطفل رموز اللغة المكتوبة. المشكلة أننا لا نهتم بهذا الموضوع ولا ن فكر فيه. ابني يبلغ خمس سنوات وأحقت بالمدرسة وطالبت المعلم بأن يتحدث إليه بلغته التي هي الدارجة، ماذا سيعلمه بتلك اللغة؟ هل سيتحدث المعلم إلى الطفل ليعلمه لغته التي تربي عليها ويتقن التحدث بها؟! هل سيلقنه الكلام الذي يتكلم به؟! هذه هي الأسئلة التي لا يطرحها المطالبون بتعليم الطفل بلغته الأم التي يتحدث بها في البيت. المعلم سيعلّم الطفل أمورًا أخرى غير لغته التي يتحدث بها في البيت. سيعلّمه القراءة والحساب. سيعلّمه الحروف وكيف يقرؤها ويربط بينها في الكلمات، وسيعلّمه قراءة الأرقام والأعداد. هذه هي مهمة المدرسة ودورها عندما يلتحق بها الطفل. دور المدرسة ليس هو تعليم الطفل اللغة التي يتحدث بها في البيت. أشرح هذا السؤال، ألا يقوم الأستاذ بتعليم الحساب واللغات للطفل بالدارجة في المستوى الأول والثاني والثالث؟ هل يعلمه ذلك بلغة سيبيويه؟! وبالتالي فالدعوة إلى تدريس الطفل بالدارجة، إما هي زائدة، أو أن لها توحيات أخرى غير تلك المعبر عنها في الظاهر، والتي لا علاقة لها بالتعليم ولغته.

في هذه النقطة بالذات، كيف
تردون على صاحب الدعوة إلى
التدريس بالدارجة؟

ليس هناك جهة تعارِب تعليم الطفل بالدارجة في السنوات الأولى، وهذه الطريقة هي المعمول بها في المدرسة المغربية، وإذا اختار المسؤولون فرضها على المدرسين فلا بأس في ذلك، سنلزمهم بالألا يتحدثوا إلى الطفل عن الإعراب والنحو أو الصرف، وأي معلم خرق هذا الأسلوب في التعليم، سنخصم من أجرته نسبة معينة. عندما سيبلغ هذا الطفل عامه الثامن، سيكون قد أتقن الحساب وعملياته بالدارجة مثله في ذلك مثل البقال... ولكن أن تجربوا قراءة الدارجة مكتوبة بحروف عربية، فأكيد أنكم ستلاقون صعوبة كبيرة أثناء قراءة كلمات الدارجة. بل حتى كتابة الدارجة بحروف لاتينية لن يحل هذا المشكل، مقارنة بسهولة قراءة كلمات العربية المعربة.

كم
سنحتاج من الوقت
لنخدم هذه اللغة حتى تصير
قائمة الذات وقادرة على أن تكون
لغة تدريس وثقافة؟ مائة عام على
الأقل! حينها إلى أين سيصل الآخرون
في المشرق، مقارنة بنا نحن الذين تفرغنا
لخدمة الدارجة؟!

المشكل
لن يكون مطروحا في
السنوات الأولى من التعليم
بالدارجة، وأن التلميذ
سيتفوق في الرياضيات وعلوم
الحياة. المشكل سيترشح في
السنوات الأخرى لما يتقدم
ذلك التلميذ في مستويات
التعلم

○ يمكن أن نتوجه إلى صاحب الدعوة إلى التدريس بالدارجة، ونقول له "نتفق معك في ما تدعو إليه، وسنتحدث في المدرسة مع الطفل الذي يبلغ عامه الخامس بلغته الأم، وسنعلّمه كيف يقرأ ويكتب، يعني أننا سنعلّمه الحروف، فهل هذه الحروف ستكون حروف الدارجة أم ستكون حروف لغة أخرى، إما العربية أو البربرية أو الإنجليزية؟ وسنعلّمه رموز الحساب، والتميز بين الرمز 4 و5 أو 6، ونفسر له الفروق بينها والعمليات الممكنة بينها، سنعلّمه كل هذا بالدارجة، وسيبقى المضمون هو الحساب. سيفضي الطفل ثلاث سنوات الأولى في التعلم بهذه الطريقة، وإذا قارناه بتلميذ إسباني في سنه، سنجد أنهما يتوفران على نفس المستوى. هنا لن يعترضنا أدنى مشكل على مستوى تدريس الطفل بلغته، وليس هناك جهة تعارِب تعليم الطفل بالدارجة في السنوات الأولى، وهذه الطريقة هي المعمول بها في المدرسة المغربية، وإذا اختار المسؤولون فرضها على المدرسين فلا بأس في ذلك، سنلزمهم بالألا يتحدثوا إلى الطفل عن الإعراب والنحو أو الصرف، وأي معلم خرق هذا الأسلوب في التعليم، سنخصم من أجرته نسبة معينة. عندما سيبلغ هذا الطفل عامه الثامن، سيكون قد أتقن الحساب وعملياته بالدارجة مثله في ذلك مثل البقال، وأتقن التعبير عن نفسه بلغته. أريد هنا تسجيل ملاحظة أراها غاية في الأهمية، وهي أن الطفل سيعبر عن نفسه أحسن بالعربية المعربة، ولكن أن تجربوا قراءة الدارجة مكتوبة بحروف عربية، فأكيد أنكم ستلاقون صعوبة كبيرة أثناء قراءة كلمات الدارجة. بل حتى كتابة الدارجة بحروف لاتينية لن يحل هذا المشكل، مقارنة بسهولة قراءة كلمات العربية المعربة.

أين سيعترضنا المشكل بالتالي؟

○ المشكل سيعترضنا في التربية الأدبية، لأن هذا الطفل الذي بلغ الآن عامه الثاني عشر، وعلمته في السنوات الأولى بلغته الدارجة، وتقدم في مستويات تعلم الكتابة بالحرف العربي وحتى الحرف اللاتيني كما نادى بذلك بعض اللبانيين، وصار قادرا على كتابة الدارجة وقراءتها، هنا سنقطع صلته بالعربية المكتوبة ونوصوها. يمكن أن ينجح في حفظ بعض الآيات القرآنية في حصة التربية الدينية، مثله في ذلك مثل أي تلميذ أوربي ينجح في حفظ مقاطع من الإنجيل باللغة اللاتينية، دون أن ينجح في فهم معناها. سيصير التلميذ هنا كأي مسلم غير عربي في ماليزيا أو أندونيسيا، ينجح في حفظ تلك الآيات وترديدها صوتيا دون فهمها. يمكن أن يكون هذا التلميذ متفوقا في عامه الثاني عشر، في العلوم والتربية الفنية، ولكن ما هي النصوص التي سيتفوق في قراءتها في القسم والبيت؟ بل، ما هي النصوص التي سيعتمد عليها ليتعلم؟ ستعلمه قراءة ديوان سيدي عبد الرحمن المحذوب؟! وهو شاعر كبير بالدارجة. أنا أستاذ اللغة العربية، وأمامي تلميذ تعلم بالدارجة في سنواته الأولى، وقررت أن أدرسه ديوان هذا الشاعر المغربي الكبير، لأنني لا أتوفر على نصوص أخرى، كيف سأفسر له أدبيا أبيات قصائد ذلك الديوان (لا تحسبها رخيصة راه كل معشوق غالي؟) ما هو معناها؟ ما هو مغزاها؟ سأضطر إلى ربط تلك القصائد بالتصوف وسأعمل على تلقين تلامذتي ما هو التصوف وتاريخه، وسأجذني مجبرا على تدريس التربية الدينية التي اعتقدت أن الدارجة ستعديني عنها. أكثر من ذلك، فإن أنا أردت تربية الذوق الفني لدى التلميذ، علي أن أفسر له ذلك الشعر المكتوب بالدارجة، ولا يمكن أن أفسره إلا بالعودة إلى الوزن العربي الأصلي. هذه العملية ضرورية لتحقيق الفهم لدى ذلك التلميذ إذا كان ناطقا بالعربية، أما إذا كان أمازيغيا فذلك أمر آخر. ما أريد الوصول إليه من هذا الكلام، أن المشكل لن يكون مطروحا في السنوات الأولى من التعليم بالدارجة، وأن التلميذ سيتفوق في الرياضيات وعلوم الحياة. المشكل سيترشح في السنوات الأخرى لما يتقدم ذلك التلميذ في مستويات التعلم، حين يجد الأستاذ نفسه أمام سؤال "ما هي النصوص التي سأدرسها لهذا التلميذ؟"، سيرد الدعاة إلى التدريس بالدارجة، بالقول "خاصنا نخدم الدارجة ونوصوها". طيب، نتفق معكم في هذه الدعوة، لكن كم سنحتاج من الوقت لنخدم هذه اللغة حتى تصير قائمة الذات وقادرة على أن تكون لغة تدريس وثقافة؟ مائة عام على الأقل! حينها إلى أين سيصل الآخرون في المشرق، مقارنة بنا نحن الذين تفرغنا لخدمة الدارجة؟!

من الأفضل أن نعود إلى ذلك
الطفل وهو يتابع تعلمه بالدارجة

○ أعود إلى الطفل وقد بلغ عامه الثامن، وقضى ثلاث سنوات في التعلم بلغته الأم، كيف سنتعامل معه؟ هل سنستمر في تدريسه بالدارجة؟ هل نمر إلى تعليمه التربية الفنية والتربية العلمية والثقافية؟ ليس هناك مشكل في تدريس الطفل الموسيقي والرسم بلغته الدارجة. أما بالنسبة للتربية العلمية فمسا يقال حول

على سبيل الاستهلال اللابد منه

كما كان متوقعا، أثار الجزء الأول من الحوار الذي نشر أمس ردود فعل عديدة في أوساط المهتمين والمنقذين وعموم القراء المغاربة، وهي مسألة مفرحة لأنها تدل على أن الوهم السائد بانعدام اهتمام الناس بقضاياهم الكبرى هو وهم خاطئ تماما. أيضا هو أمر مفرح لأنه أكد لنا صواب الاختيار وأكد لنا صدق الحدس المهني الذي جعلنا نراهن على كبير من أكابر القوم في المجال لكي نستمتع إلى رآيه في الموضوع الحساس والحيوي المسمى لغتنا وهويتنا.

العروى الكبير له الأوراق المغربية، وهو القادر على الحديث دون مواربة عن زمن السياسة عبر ديوانها، وهو "العربية" وهو "البيتم" وهو أيضا مجمل تاريخ المغرب، فمفهوم الأيديولوجيا الشهير، ثم مفاهيم الحرية والدولة قبل مفهوم التاريخ، وهو الخواطر الصباحية الشهيرة وبقية المؤلفات التي تعد إسهما فاعليا وحقيقيا في التأسيس لفكر مغربي آخر، منطلق، حر، له العلاقة المثلى بالمعرفة التراثية: علاقة الرغبة في النهل منها حد الاستفادة ثم المرور إلى الأشياء الأخرى.

لذلك كان ضروريا الإنصات لصوته في النازلة. والنازلة هنا أمر جليل للغاية يسمى لسان الناس ولغتهم، خصوصا بعد دعوة أطلقتها توصيات صادرة عن ندوة علمية من أجل تبني التدريس بالمغربية الدارجة خلال سنوات التعليم الأولى.

صوته أتى يوم الحديث الأول معه عن الموضوع حاسما ولا يقبل أي نقاش: أريد أن أتحدث في هذا الموضوع. وهي ليست المرة الأولى فقد تعود أن يبدلي بالذلو المعري الكبير دائما حين الجد، من ربيع العرب إلى قضية المغربية الأولى «الصحراء المغربية».

في مثل هاته اللحظات تحس بوزن المثقف الفعلي وقد تبني خيار الإسهام حقا في نقاش بلاده ومواطنيه، وقرر ألا يبقى في البرج العاجي الشهير الذي يهرب إليه أمثاله خوفا أو تحرجا أو تزلفا أو اختيارا للبقاء غير مبالين نهائيا.

هو أصلا فعليا أيام 20 فبراير، وأيام ما عرف بالربيع العربي، وأعطى رأيه الواضح والصريح في الحكاية ككل، وهو يعود ليفعلها مرة أخرى هنا في قضية اللغة المغربية العربية من خلال حديث طويل عريض لا يترك أي تفصيل إلا ويتركه لكي يصل في الختام إلى ما يعتبره الصواب اليوم، ولكي يطلق النداء واضحا وصريحا من أجل عدم التفريط بسهولة في الثقافة العربية واللغة في مقدمتها شرط القدرة على التطوير وعلى الالتحاق بالزمن الحديث، زمن كل اللغات خصوصا منها الإنجليزية.

على امتداد ثلاث ساعات تحدث الكبير العروى بكل صراحة، وبكل صدق، وبكل إيمان واضح وظاهر بالقضية. قضية اقتناعه أن وراء الأمة أشياء يجب أن تقال لنلا يقال في يوم من الأيام إنه صمت ولم يعلن الموقف مثلما يجب أن يخرج إلى العلن.

في بهو الهيتون الرباطي الشهير، لم يترك لالة التسجيل فرصة الانطلاق ولم يترك لنا فرصة الجلوس لكي يشرع في الحديث هذا الموضوع وحده استطاع أن يخرجني من مقبعي، لأنني لا أستطيع السكوت عنه، ولا بد من قول بعض الكلام.

ذلك الكلام، كله أو بعضه، أو ما اقتنصت آلة التسجيل من بحار العروى، وما بقي في الذاكرة من اللقاء، وما يجب أن يصل إلى الناس في هاته اللحظات هو المكتوب على امتداد حلقات الحوار، رسالة من مؤرخ ومفكر وكاتب كبير يمتلك كل شرعيات الحديث عن الموضوع، ويمتلك أساسا شجاعة الإقدام على الخوض فيه في لحظة قرر فيها العديدون أن يتناولوه إما بالاعتداء الجاهل عليه، أو بالتجريح في مخالفيهم الرأي، أو باختيار الاصطفاف العقيم وراء المسلمات الجاهزة دون رغبة في الفهم، أو حتى محاولة "ارتكاب" هذا الفهم قبل الانطلاق في التنظير والكلام الكبيرين.

نصيخ السمع لعبد الله العروى في الجزء الثاني من الحوار، ونسمع منه كل الكلام. لنتابع



عبد الله العروى

مفكر ومؤرخ مغربي

تصوير: محمد وراق

حاوره: المختار لغزيوي / جمال زايد

عندما حاولت الكتابة بالدارجة

الثقافة ليست قضية سياسية أو اقتصادية عابرة.. الثقافة أكبر بكثير

✍ ولكن هناك تجارب عدة شعوب استطاعت أن تستقل بلغاتها الوطنية.

○ يا سيدي، أنا مستعد لتقديم أمثلة على هذا الصعيد. هناك مثال الهولنديين الذين مرت عليهم الآن أربعة قرون حين سعوا إلى الانفصال عن إسبانيا التي لا يجمعهم بها لا الدين ولا اللغة، فكتبوا لغتهم المحلية، وصارت الهولندية كما كتبت تدل على مستوى أعمق من اللهجات الألمانية الأخرى، لأن تلك اللهجات ظلت شفوية، بينما الهولندية صارت لغة مكتوبة، لكنها بالمقابل حفظت وجمدت في هذا المستوى ولم تتجاوزها مقارنة بتلك اللهجات التي استمرت حية. الهولنديون متقدمون الآن اقتصاديا وسياسيا، ولكن من يهتم في العالم بالثقافة الهولندية؟! ومن يقرأ ما يكتبه الكتاب الهولنديون بلغتهم الوطنية؟! هل سبق لك أن قرأت لشاعر هولندي ما كتبه من شعر بلغته الهولندية؟ هل قرأت لروائي هولندي؟ الجواب معروف على أن الثقافة الهولندية أنتجت شعراء وقصاصين وروائيين من الطراز الرفيع، لكن لغتهم المحلية حالت دون شهرتهم على الصعيد العالمي. مبدعون كبار ولا أحد يعرفهم خارج هولندا، بل منهم من اضطر إلى الكتابة بالإنجليزية حتى ينجح في مغادرة لغته الوطنية التي تحكم عليه بالانغلاق، وهذا ما قام به المختار السوسي حين قرر الكتابة بالعربية حتى تعرف كتاباته انتشارا أوسع. المختار السوسي كان يتحدث في بيته وحياته اليومية بالسوسية، فخبيل معي لو أنه كتب "المعسول" بالسوسية فمن كان سيقراً ذلك الكتاب الذي ما زال إلى اليوم مقروءا ويثير أسئلة قرائه من غير السوسيين. هنا أنقل إلى المثال الثاني، يتعلق الأمر بجيمس جويس الذي عاش في محيط إيرلندي يعادي اللغة الإنجليزية ويدافع عن اللغة الوطنية السلتية القديمة والخصوصية الإيرلندية مقارنة بثقافة الإنجليز ولغتهم. عاش جويس في هذا المحيط الذي يحتمي باللغة المحلية على مستوى الشعر والأغاني والمسرح، وكتابة هذه المستويات، لكن الروائي ارتأى ألا يؤدي ثمن الخطأ الذي ارتكبه أجداده الأبعدون الذين لم يطوروا لغتهم ولم يكتبوا بها، وفضل أن يعيش خارج وطنه الأم، وأن يتعامل مع اللغة الإنجليزية كأنها لغة قابلة للتفريغ. تعامل معها كأنها لغة مفترسة، يفترسها أثناء الكتابة

كتاب كتب في البصرة؟! نتخلص من الخلاء ومن ألف ليلة وليلة والأدب الأندلسي، فماذا سيقبلي لنا في المغرب؟! سنتبقي لنا تمغريبية؟! سؤال هنا، ما هي الثقافة المغربية؟ ستقول الثقافة المغربية هي اليوسية، سارد عليك بأن اليوسية كتب محاضراته باللغة العربية، ولم يكتبها بالدارجة أو الأمازيغية، والأمر نفسه بالنسبة للمختار السوسي. هل تطوي صفحة هذه الثقافة المغربية المكتوبة بالعربية ونبدأ من جديد كأننا شعب ليست له ثقافة مكتوبة، ويريد أن يخدم ثقافته الشفوية؟! لهذا السبب رفضت منذ أول كتاب كتبه، وهو "الأيديولوجية العربية"، ما سميت "الثقافة الفلكلورية". لماذا رفضت هذه الثقافة؟ حتى لا نجد أنفسنا في ذلك المستوى البدائي الذي هو في طور الانفتاح على الكتابة والكتوب الذين التحق بهما الإغريق منذ ثلاثين قرنا، والعرب منذ ما يقرب من عشرين قرنا، ويأتي البعض منا ويقول، الآن في القرن الواحد والعشرين، علينا أن نبدأ من الصفر ونهتم بتمغريبية واللغة المغربية الشفوية كأننا لا ننوفر على لغة مكتوبة وعلى ثقافة مكتوبة! نتنكر لتلك اللغة وتلك الثقافة ودعو إلى الاهتمام بالدارجة ونكتبها ونخدمها لتصبح بعد مائتي عام لغة وطنية قادرة على إنتاج الثقافة المكتوبة!

هل

نطوي صفحة هذه الثقافة

المغربية المكتوبة بالعربية ونبدأ من جديد

كأننا شعب ليست له ثقافة مكتوبة، ويريد أن

يخدم ثقافته الشفوية؟! لهذا السبب رفضت

منذ أول كتاب كتبه، وهو "الأيديولوجية

العربية"، ما سميت "الثقافة

الفلكلورية".

علينا

أن نتنظر مائتي

سنة أخرى حتى ننجح في فتح

الدارجة على هذه المعطيات ونحقق

فيها كل هذه التراكمات! وعلينا أن نتنظر

مائتي سنة حتى ننجح في التعبير بالدارجة

تعبيرا أدبيا محملا بالإيحاءات! هل نملك

الزمن الكافي لتحقيق هذه النتيجة

التي تستطيع العربية تحقيقها

دون مشاكل؟

كنت سأكتب كل هذا بالدارجة؟! لا يمكن كتابته بالدارجة لأن فيه إيحاءات، إيحاءات البندقية وهيمغواي وتوماس مان. هذا تراكم مائتي سنة، وتلاقح بين هذه الحضارة واللغة العربية المكتوبة التي استطاعت أن تستوعب هذه المعطيات في عمقها، وتعبير به بهذا الأسلوب. بالتالي، علينا أن نتنظر مائتي سنة أخرى حتى ننجح في فتح الدارجة على هذه المعطيات وتحقق فيها كل هذه التراكمات! وعلينا أن نتنظر مائتي سنة حتى ننجح في التعبير بالدارجة تعبيرا أدبيا محملا بالإيحاءات! هل نملك الزمان الكافي لتحقيق هذه النتيجة التي تستطيع العربية تحقيقها دون مشاكل؟ هل استوعب نور الدين عيوش وكل الدعاة إلى التعبير بالدارجة هذه الحقائق؟ هل فكروا فيها وفي مضيق الوقت التي يستدعيها بناء الدارجة؟ ما يدعون له ليس بالبساطة التي تصورونها، والقضية لا صلة لها باستعمال بعض التعبيرات بالدارجة مثل "ما تقيش ولادي"، وانتهى الأمر. هذه القضية يجب أن يبتعد عنها الأشخاص الذين لا علاقة لهم بالثقافة لا من قريب ولا من بعيد، ولا حق لهم في أن يتدخلوا في أمور كبرى تقتضي التسيير والتخطيط لمستقبل شعب يكامله. الثقافة ليست قضية سياسية أو اقتصادية عابرة، الثقافة أكبر بكثير.

✍ وماذا عن تمغريبية والخصوصية المغربية؟

○ أما مسألة "تمغريبية" فأقول عنها إنها تعود إلى نوع من الانعزالية، وأظن أن رجل السياسة بالمغرب لا يمكنه اليوم أن يطبق هذه السياسة الانعزالية، ولكن أنا باعتباري رجل ثقافة لدي الحق في أن أميل مع هذا الاتجاه أو ذاك. لهذا أقول في قضية الدعوة إلى التدريس بالدارجة، أرضها وأنا أعتر بمغربيته وخصوصيته، وهذه مسألة لا علاقة لها بقبول تلك الدعوة، ولا بشعوب الشرق، وإنما لها علاقة بثقافة وبمزجون ثقافي، يضم كتاب "ألف ليلة وليلة" و"بخلاء الجاحظ" و"كليلة ودمنة". في قرآني الكثيرة لبخلاء الجاحظ، أقف في كل قراءة على أنني أقرأ كتابا جديدا لم يسبق لي أن قرأته. هل نتخلص من هذا الكتاب ونمحوه من ثقافتنا بدعوى أنه لا يمت بصلته إلينا، وأنه

✍ وقفنا بالأمس عند سؤال نصوص الدارجة التي سيدرسها التلميذ عندما يصل إلى مستوى دراسي معين، وأن الدارجة فقيرة على هذا المستوى، ولن يجد التلميذ ما يدرسه، عكس العربية الغنية بنصوصها وما تحمله من معاني وإيحاءات.

○ أنا مسكون بهذه القضية ومثقل بأسلتها لأنني حاولت في المشروع الأصلي لرواية "البيتم" أن أكتب بالدارجة، وفكرت في كتابته من أوله إلى آخره بالدارجة بلا نقطة ولا فاصلة، ولكن شيئا فشيئا بدأت مستويات الكتابة تختلف. مستوى الدارجة خاص بالتواصل فقط، ثم مستوى العربية لما ترتفع وتتعمق تعابرها وإيحاءاتها وإحالاتها. يمكن أن أقرأ مقطعاً من هذه الرواية لتقف بالموس على ما قلت. لا يحضرني الآن مقطع التواصل بالدارجة، ولكن المقطع المكتوب بالعربية يقول "وماذا تركت لتشاهديه معي؟ بجانك أشاهد كل شيء من جديد، انتظرت هذه الدقيقة منذ خمس عشرة سنة. نعم طالما تمنيت أن ترى البندقية في الشتاء. ما فصل الشتاء وما أنت في البندقية. ماذا فعلت في الغربة طوال هذه السنين؟ حسبت الأيام، ثم تخيلتك، وعشت مع غيري، لقد أعانوني على الحياة. نسينك فتذكرتك، ثم نسينك فتذكرتك. هذه دقائق مفصولة من الماضي، وعن المستقبل، وهذه مدينة مقطوعة عن الغرب والشرق، كنا نسها كالمسجد، لنبتعد برهة عما قد وقع، وعما قد يقع. إننا هنا بسبب أشياء وقعت منذ أزمان متقدمة، لنفرض أنها حدثت البارحة، لنفرض، ولنذهب حيث يجتمع الشباب. أفضل أن أرى امرأة مسنة، شعرها أبيض، تشده سفينة زرقاء، ينظر إليها زوجها، قميصه من الصوف الملون وكان لم يمر على زواجهما إلا يوم. سنبحت اليوم أو غدا عن السقاية المشؤومة، سقاية الموت في البندقية. سنذهب إلى الأكاديمية لنرى العاصفة وانفجار الساعة، وفي متحف كوكنهاي لوحة ماكربيت، زرقعة ماكربيت، والقبر الصغير المكتوب على رخامه "إلى أولادي الأعداء"، ومن هم هؤلاء أصحاب الأسماء اليونانية، أولاد بيتامي، بل كلاب. العطف على الحيوان سخط على الإنسان، والعطف على الإنسان سخط على القدر، وتعلو وجه ماريا موجة من اليأس". كيف

الشعوب ولغاتها الوطنية: النماذج



لو

كتب جويس

رواياته المشهورة الآن بلغته
الوطنية، من كان سيطلع عليها
ويقف على براعة روائي من الطراز
الرفيع؟ سيقروه الإيرلنديون الذين لا
يتجاوز عددهم أربعة ملايين نسمة،
وأما الذين هاجروا إلى الولايات
المتحدة فلا يعرفون لغتهم
الأم.

إذا

انطلقت في تعليم

الطفل بالدارجة فقط، لا يمكن
أن تنتقل به بعد ثلاث سنوات، إلى أن
يختارين إحدى اللغات الأجنبية واللغة
العربية الموحدة وليست العربية الكلاسيكية.
أنا لا أسميها عربية كلاسيكية، ومن هذا
الذي يتكلم العربية الكلاسيكية الآن؟!
لا يوجد شخص يتحدث بها، وإنما
هناك من يكتب بها.

إذا اعتمدنا الدارجة لغة مكتوبة سينقطع المغاربة عن الثقافة العربية
وما أنتجته طيلة قرون من إرث ثقافي وأدبي، وما زالت تنتج. الأمر
هنا لا يتعلق فقط بقطيعة مع الشرق العربي وشعوبه، وإنما سيتعلق
بقطيعة مع الحضارة العربية ومع ما ساهم به المغاربة وأهل
الأندلس في تلك الحضارة. إذا اكتفينا بتعليم الطفل الدارجة
فستقطع صلته انقطاعا كلياً بتلك الحضارة وثقافتها.

بها، بحيث لو قرأها إنجليزي فسيفول هذه
ليست لغتي الإنجليزية التي أعرفها وأتقنها.
لو كتب جويس رواياته المشهورة الآن بلغته
الوطنية، من كان سيطلع عليها ويقف على
براعة روائي من الطراز الرفيع؟ سيقروه
الإيرلنديون الذين لا يتجاوز عددهم أربعة
ملايين نسمة، وأما الذين هاجروا إلى
الولايات المتحدة فلا يعرفون لغتهم الأم.
أنتقل إلى الهند التي تصل لغاتها المحلية إلى
مائتي لغة، كل مقاطعة تتحدث لغتها الخاصة
بها، واللغة الرسمية ليست هي السنسكريتية،
اللغة الدينية القديمة، وإنما الهندوستانية التي
يتحدث بها أكثر من مائتي مليون هندي،
ومع ذلك لا يعرف من الهنود إلا من يكتب
بالإنجليزية. أكثر من ذلك، اللغة البنغالية
التي يتحدث بها أكثر من ثلاثمائة مليون من
الشرق، فطاعور الكاتب البنغالي الشهير،
ألف كتبه بالإنجليزية، ولم يكتبها بالبنغالية
التي تزخر بثقافة وأداب عريقة، لو كتبها
بلغته الوطنية لظل حبيس بلاده ولن يعرف
الشهرة العالمية التي حازها.

حتى لا نبتعد عن موضوعنا، اللغة
العربية الفصحى لغة رسمية رسمها
الدستور، أما خاتمة اللغة الوطنية فما
زالت شاغرة، وتنتظر الملء باعتماد
اللغة المغربية التي تتحدث بها الأغلبية
الساحقة من المغاربة.

تعمن في ما سأصرح به. ذهبت بعيدا
في قبول أن تكون الدارجة لغة التدريس في
السنوات الأولى من التدريس الابتدائي. هذا
هو ما يطلبه نور الدين عيوش. بل ذهبت
أبعد من ذلك، حين دعوت إلى كتابة الدارجة
بحرف خاص بها يميزها عما سواها. لم أقف
عند هذا الحد، بل ذهبت بأن اعتماد الدارجة
في التعليم الابتدائي، لا يمنع من التبوغ
في العلوم والتقنيات والفنون. هناك نقطة
وأحدة ظلت معلقة، وهي الثقافة الأدبية. إذا
اعتمدنا الدارجة لغة مكتوبة سينقطع المغاربة
عن الثقافة العربية وما أنتجته طيلة قرون
من إرث ثقافي وأدبي، وما زالت تنتج.
الأمر هنا لا يتعلق فقط بقطيعة مع الشرق
العربي وشعوبه، وإنما سيتعلق بقطيعة مع
الحضارة العربية ومع ما ساهم به المغاربة
وأهل الأندلس في تلك الحضارة. إذا اكتفينا
بتعليم الطفل الدارجة فستقطع صلته انقطاعا
كلياً بتلك الحضارة وثقافتها.

ستحدث هذه القطيعة إذا تم إقصاء
العربية الكلاسيكية من الحقل اللغوي
المغربي، أما إذا لم يقع ذلك الإقصاء
واستمر استعمال تلك العربية فلن
تحدث تلك القطيعة وسيستمر اتصال
المغربي بالثقافة العربية والتفاعل مع
ما أنتجته وما زالت تنتج.

حاول أن تستوعب تصوري للقضية.
سيكون ذلك بالتردد كأنك تقود سيارتك
وتنتقل من السرعة الأولى إلى السرعة الثانية
فالثالثة والرابعة. إذا انطلقت في تعليم الطفل
بالدارجة فقط، لا يمكن أن تنتقل به بعد ثلاث
سنوات، إلى أن يختار بين إحدى اللغات
الأجنبية واللغة العربية الموحدة وليست
العربية الكلاسيكية. أنا لا أسميها عربية
كلاسيكية، ومن هذا الذي يتكلم العربية

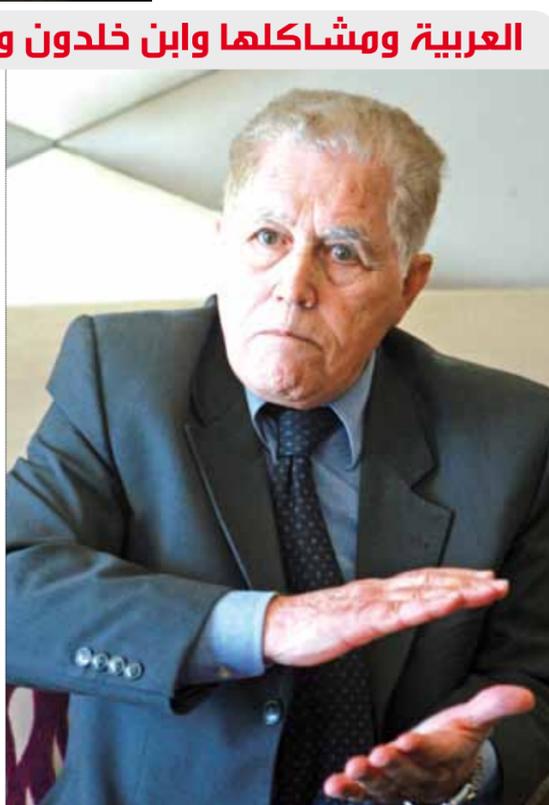
إذن، تعترفون بكون العربية
تعاني من مشاكل وتعيش أزمة
حقيقية.

نعم، ولكن هذا لا يعني إصلاح مشكل
بمشكل أكبر منه. لا يمكن إصلاح مشاكل
العربية بالدارجة، لأن الدارجة تعاني من
أزمة أكبر، بل أخطر من أزمة العربية.
مع ذلك يمكن أن أجيب عما طرحته. الذين
ينادون بتبني الدارجة لغة للتدريس والكتابة،
لم يطلعوا على ما كتبه ابن خلدون في مقدمته.
ابن خلدون عرض نقاشا طويلا وعريضا
حول الدارجة، ويقول إن الدارجة لغة قائمة
بذاتها، ولكن ابن خلدون يفسر في الوقت
نفسه، لماذا تأخر المغاربة في النطق بأصوات
العربية مقارنة بالشارقة، ويستحضر
الكتابات القرآنية وقراءة القرآن جهرا،
لأن الغاية من تلك القراءة ليست الحفظ ولا
الفهم أو التدوين، وإنما بغاية إصلاح النطق
ومخارج الحروف نتيجة ما أصابها من
تأثيرات الأمازيغية وأدت بالمغربي إلى كثرة
الإذغام وغياب المصوتات، وأبعده عن
النطق السليم لأصوات العربية كما ينطقها
السوريون والمصريون. الغاية إذن هي
توحيد النطق ومخارج الحروف، بحيث
يمكن أن تكون قادمة من موريطانيا أو من
العراق، ولكن تنطق الحرف العربي كما
ينطقه الآخرون. هذا نظريا لأنه صعب
الحدوث، ومع ذلك كان الرهان على
التوحيد على مستوى مخارج الحروف.
أقول هذا لأتوجه إلى الدعاة إلى تبني الدارجة
لغة للتدريس والكتابة، وأستحضر عبارة
"ما تقيش ولادي"، لو كانوا يتقنون النطق
بمخارج حروف الدارجة كما ينبغي النطق
بها لما كتبوا "ما تقيش".

ماذا أصاب هذه العبارة؟

كل مغربي ينطق لغته نطقا سليما ويحافظ
على مخارج الحروف كما هي، سيقول "ما
تقيش"، وليس "ما تقيش". ماذا سيفعل
الدعاة إلى تدريس الدارجة وهم يتوجهون
إلى طفل صغير السن، هل سيقولون له "ما
تقيش"، أو "ما تقيش" حتى يستوعب النفي
الواقع في فعل "تقيش" قبل أن تدخل عليه "ما"
المستعملة للنفي، وأن "ش" لحقت ب"تقيش"
لرسم ذلك النفي للفعل. لاحظ هنا أنك لم
تغادر لغة سيوييه ولم تتخلص منها وأنت
تسعى إلى تدريس الدارجة ووضع نحو لها.
زيادة على مناطق كثيرة من المغرب، لن
تستعمل عبارة "ما تقيش"، وإنما ستستعمل
عبارة "ما تمش"، وأكتفي بالتمليح إلى من
يستعمل عبارة "ما تقيش".

يتبع في عدد الغد



العربية ومشاكلها وابن خلدون والدارجة

على سبيل الاستهلال اللابد منه

ما زال حوار «الأحداث المغربية» مع الأستاذ عبد الله العروي يثير ردود فعل عديدة في أوساط المهتمين والمتقنين وعموم القراء المغاربة، وهي مسألة مفرحة لأنها تدل على أن الوهم السائد بانعدام اهتمام الناس بقضاياهم الكبرى هو وهم خاطئ تماما. أيضا هو أمر مفرح لأنه أكد لنا صواب الاختيار وأكد لنا صدق الحدس المهني الذي جعلنا نراه على كبر من أكابر القوم في المجال لكي نستمتع إلى رأيه في الموضوع الحساس والحيوي المسمى لغتنا وهويتنا.

العروي الكبير له الأوراق المغربية، وهو القادر على الحديث دون مواربة عن زمن السياسة عبر ديوانها، وهو «الغربة» وهو «اليتيم» وهو أيضا مجمل تاريخ المغرب، فمفهوم الأيديولوجيا الشهير، ثم مفاهيم الحرية والدولة قبل مفهوم التاريخ، وهو الخواطر الصباحية الشهيرة وبقية المؤلفات التي تعد إسهاما فعليا وحقيقيا في التأسيس لفكر مغربي آخر، منطلق حر، له العلاقة المثلى بالمعرفة التراثية، علاقة الرغبة في النهل منها حد الاستفادة ثم المرور إلى الأشياء الأخرى.

لذلك كان ضروريا الإنصات لصوته في النازلة. والنازلة هنا أمر جليل للغاية يسمى لسان الناس ولغتهم، خصوصا بعد دعوة أطلقتها توصيات صادرة عن ندوة علمية من أجل تبني التدريس بالمغربية الدارجة خلال سنوات التعليم الأولى.

صوته أتى يوم الحديث الأول معه عن الموضوع حساسا ولا يقبل أي نقاش؛ أريد أن أتحدث في هذا الموضوع. وهي ليست المرة الأولى فقد تعود أن يدلي بالذو العري الكبير دائما حين الجد، من ربيع العرب إلى قضية المغاربة الأولى «الصحراء المغربية».

في مثل هاته اللحظات تحس بوزن المنطق الفعلي وقد تبني خيار الإسهام حقا في نقاش بلاده ومواطنيه، وقرر ألا يبقى في البرج العاجي الشهير الذي يهرب إليه أمثاله تخوفا أو تحرجا أو تزلزا أو اختيارا للبقاء غير مبالين نهائيا.

هو أصلا فعلا أيام 20 فبراير، وأيام ما عرف بالربيع العربي، وأعطى رأيه الواضح والصريح في الحكاية ككل، وهو يعود ليفعلها مرة أخرى هنا في قضية اللغة المغربية العربية من خلال حديث طويل عريض لا يترك أي تفصيل إلا ويطرقة لكي يصل في الختام إلى ما يعتبره الصواب اليوم، ولكي يطلق النداء واضحا وصريحا من أجل عدم التفریط بسهولة في الثقافة العربية واللغة في مقدمتها شرط القدرة على التطوير وعلى الالتحاق بالزمن الحديث، زمن كل اللغات خصوصا منها الإنجليزية.

على امتداد ثلاث ساعات تحدث الكبير العروي بكل صراحة، وبكل صدق، وبكل إيمان واضح وظاهر بالقضية. قضية اقتناعه أن وراء الأكمة أشياء يجب أن تقال لنلا يقال في يوم من الأيام إنه صمت ولم يعلن الموقف مثلما يجب أن يخرج إلى العلن.

في بهو الهيلتون الرباطي الشهير، لم يترك لألة التسجيل فرصة الانطلاق ولم يترك لنا فرصة الجلوس لكي يشرع في الحديث "هذا الموضوع وحده استطاع أن يخرجني من مقبعي، لأنني لا أستطيع السكوت عنه، ولابد من قول بعض الكلام".

ذلك الكلام، كله أو بعضه، أو ما اقتنصت آلة التسجيل من بحار العروي، وما بقي في الذاكرة من اللقاء، وما يجب أن يصل إلى الناس في هاته اللحظات هو المكتوب على امتداد حلقات الحوار، رسالة من مؤرخ ومفكر وكاتب كبير يمتلك كل شريعات الحديث عن الموضوع، ويمتلك أساسا شجاعة الإقدام على الخوض فيه في لحظة قرر فيها العديدون أن يتناووه إما بالاعتداء الجاهل عليه، أو بالتجريح في مخالفيهم الرأي، أو باختيار الاصطفاة العقيم وراء المسلمات الجاهزة دون رغبة في الفهم، أو حتى محاولة "ارتكاب" هذا الفهم قبل الانطلاق في التنظير والكلام الكبيرين.

نصيح السمع لعبد الله العروي في الجزء الثالث من الحوار، ونسمع منه كل الكلام. نتابع



عبد الله العروي

مفكر ومؤرخ مغربي

تصوير: محمد وراق

حاوره: المختار لغزيوي / جمال زايد

القرآن ليس لغة فصحي

من يحارب العربية اليوم؟

ستصير لنا نحن المغاربة، لغة وطنية خاصة بنا، تميزنا عن شعوب المنطقة.

يظهر أنك لم تسأرن في ما ذهبت إليه منذ انطلاق الحوار. لغتك تظهر أنك يا سيدي، لم تستوعب أنني أفق معك مائة في المائة، ولكن عليك أن تستشرف النتيجة من هذه اللحظة، لأن وضعك سيكون في جميع الأحوال كوضع هولندا التي استقلت بلغتها عن إسبانيا واللغة الإسبانية، من سيهتم بك وبلغتك المغربية في دنيا اللغات؟!

سنظل العربية الفصحى لغة معتمدة لضمان ما تسمونه التربية الثقافية حتى لا تقع القطيعة مع الإرث الأدبي العربي.

لنفرض ذلك، وأن العربية استمرت إلى جانب اللغة الدارجة، يقول المثل ما معناه أن قلبين لا يمكن لهما أن يوجد في صدر واحد. كنت سأفقد معك لو ذهبت في قولك إلى أننا سنبنى اللغة الدارجة وسندعم العربية ونعوضها باللغة الفرنسية أو الإنجليزية، أما أن تعتمد اللغة الدارجة وتحفظ بالعربية إلى جانبها فكأنك تحفظ بالأم إلى جانب ابنتها تضمن الأصل والإرث وكذا الأمتداد. أسألك هنا، هل تضمن الحفاظ على ضمان اتفاق البنات وأمهات بعد انفصال الأولى عن الثانية واستقلالها بذاتها وحياتها ومستقبلها؟! نعيش في الحياة اليومية والعادية، وقائع المخاصمات المستمرة بين البنات وأمهات بعد الانفصال واستقلال البنات بحياتها بعيدا عن الأم. هذا ما سيقع إذا ما انفصلت الدارجة عن العربية وصارت لغة مستقلة بذاتها، إذ لا يمكن لهما أن يستمرتا في تصالحهما وتساكنهما كما هو الحال الآن، فأما أن تهيمن الدارجة على العربية، وإما أن تستمر العربية في فرض وصايتها على الدارجة وتسيطر على ابنتها وتحكم في حاضرها ومستقبلها.

كيف يمكن للفصحى المحصورة في فعل القراءة والكتابة فقط، أن تسيطر على المغربية الحية والمتطورة دائما؟!

أولا، أنا لا أتحدث عن العربية الفصحى وإنما عن العربية المغربية. اللغة العربية



إذا سمحتم، لنرفع اللبس الذي يظهر أنه ما زال يحكم دردشتنا، ليس هناك طرف يناادي بإقصاء العربية، وإنما المطلوب هو خدمة اللغة الوطنية التي هي المغربية حتى يقع التعاون بينها وبين ما تسمونه اللغة المعربة. في أفق حل المعضلة اللغوية بالمغرب

الذين ينادون باعتماد الدارجة، هل يخدمون هذه اللغة؟

قضية اللغة الوطنية، لا علاقة لها بالأفراد، وإنما هي مشروع حضاري وقضية دولة، الدولة المغربية وهي تسعى إلى تأسيس لغتها الوطنية باعتبارها شرط من شروط اكتمال بناء الدولة الوطنية.

يظهر أنك لم تستوعب ما قلته منذ البداية. هل لديك أو لدى الدعاة إلى اعتماد الدارجة لغة وطنية، قناعة أن هذه القضية تستحق أن تفرغ الدولة للاهتمام بها وجعلها من أوليات اهتمامها لأنها شرط من شروط بنائها واكتمالها؟! قبل أي شروع في الإجابة عن هذا السؤال، هل تضمن نتيجة هذه المغامرة غير محسوبة العواقب؟

يقول
الدعاة إلى اعتماد
الدارجة المغربية إنهم يحتاجون إلى
مائة عام لبناء اللغة التي يتحدث بها المغاربة
حتى تصير لغة مخدمومة وقادرة على أن تصير لغة
للتدريس والكتابة، أقول لك، امنحني هذه المائة عام
حتى أبني اللغة المعربة وأخدمها، وستصير هي اللغة
التي يتحدث بها أي مغربي في البيت والشارع،
وستصير هي لغة الحديث اليومي ولغة
التدريس والكتابة.

نعيش في
الحياة اليومية والعادية،
وقائع المخاصمات المستمرة بين البنات
وأمهات بعد الانفصال واستقلال البنات
بجياتها بعيدا عن الأم. هذا ما سيقع إذا ما
انفصلت الدارجة عن العربية وصارت
لغة مستقلة بذاتها

سعيد عقل والتجربة اللبنانية

مشكل الدارجة والعربية لأن مستوى اللغتين تقارب، ولم يعد هناك من يتحدث بلغة العلماء أو يكتب بها، لا في الجامعة ولا في الصحافة المكتوبة ولا في وسائل الإعلام السمي والبصري، ولأن البنات والنساء تعلمن في المدارس وصرن يتحدثن إلى أبنائهن بلغة راقية، بحيث كل جيل يساهم في اقتراب لغة الدارجة من لغة الصحافة، وخاصة الصحافة اليومية والتلفزيون الذين تلتقي فيهما اللغة الدارجة والعربية ويقتربان من بعضهما البعض. التجربة نفسها، مر منها المصريون فما نسميه اللهجة المصرية فهي في حقيقتها لهجة قاهرية، وليست لها أي علاقة باللهاجات الأخرى التي يتحدث بها باقي المصريين في المناطق الأخرى من مصر. انتقل في السياق نفسه إلى اللغة التي يتحدث بها البغداديون، لأقول هي لغة العاصمة العراقية وليست لها أي علاقة باللغة التي تستعملها كل منطقة من مناطق العراق خارج بغداد. أقول هذا من باب التمهيد إلى الإجابة عن السؤال، وانتقل مباشرة إلى الموضوع الذي يهمني. يقول الدعاة إلى اعتماد الدارجة المغربية إنهم يحتاجون إلى مائة عام لبناء اللغة التي يتحدث بها المغاربة حتى تصير لغة مخدمومة وقادرة على أن تصير لغة للتدريس والكتابة، أقول لك، امنحني هذه المائة عام حتى أبني اللغة المعربة وأخدمها، وستصير هي اللغة التي يتحدث بها أي مغربي في البيت والشارع، وستصير هي لغة الحديث اليومي ولغة التدريس والكتابة.

ألا ترون أنها مهمة مستحيلة التحقق؟

امنحني مائة عام وتسلج بالنفس الطويل، وسترى النتيجة بالموسم. الدعاة إلى اعتماد الدارجة يطلبون مائة سنة لبناء الدارجة حتى تصير لغة الحديث اليومي ولغة التدريس وكتابة نصوص يمكن أن يفوز نص منها بجائزة نوبل للاداب، إذن فليمنحوا هذه المدة الزمنية لبناء اللغة المعربة وخدمتها، ليروا النتيجة دون إحداد قطيعة ثقافية مع إرث الثقافة العربية وما تزرخ به من كنوز، لا يمكن للدارجة أن تعوضها. مائة عام مدة كافية لحدوث التراكم الكافي لتطور العربية وملاء الشرح بينها وبين الدارجة.

انطلاقا مما أدليتكم به إلى حد الآن وأنتم تقاربون هذا الموضوع الشائك الذي يعينكم شخصا، أين يكمن المشكل لدى أصحاب الدعوة إلى اعتماد الدارجة في التدريس والكتابة؟

لأجيب عن هذا السؤال، أنطلق من كوني ألقى صعوبة كبيرة في استيعاب كيف يغامر هؤلاء الأشخاص ويدعون هكذا ببساطة إلى التدريس بالدارجة واعتمادها لغة للتعليم والكتابة، دون احتساب عواقب ما يدعون إليه، فأما أنهم لم يمروا من مرحلة التعلم كما مر منها أغلب المغاربة، وإما أنهم لم يمارسوا التعليم ولم يخبروا مجاله المعقد، وإما أنهم لم يشرافوا على تربية أبنائهم وتتبع مسارهم التعليمي وما يعترضهم من مشاكل في تطور اكتسابهم للغة، أو أنهم لم يجربوا الكتابة ولم يخبروا مجال الكتابة الفنية المعقد. أقول كل هذا لاستخلص الخلاصة التي تهمني، وهي أنهم لم يمارسوا كل ما سردهته ليقفوا بالموسم على مستوى ومحدودية ما يدعون إليه، وأنه لا يمكن أن يحل المشكل اللغوي القائم. سأضطر هنا إلى العودة إلى تاريخ هذا المشكل، وسأكتفي بإعطاء مثال كاف للدلالة على الاستخلاص الذي استخلصته وخرجت به من هذه الدراسة التي أنجزتها حول الموضوع. أريد أن أقول إن مشكل اللغة العربية والدارجة والدعوة إلى اعتماد الدارجة بدل العربية، لا يطرح إلا في بداية المسيرة الثقافية لشعب معين، وكان اللبنانيون سابقون إلى طرح هذا المشكل في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي، وكان الشاعر الكبير سعيد عقل، من دعاة اعتماد اللبنانية لغة للكتابة والإبداع، ولم يقف عند حدود الدعوة، بل انتقل إلى كتابة الشعر باللبنانية. ماذا حدث بعد ذلك بلبنان؟ بعد سنتين سنة، لم يعد اللبنانيون يطرحون هذا المشكل.

كيف تخلص اللبنانيون من هذا المشكل؟ طرح هذا السؤال حتى يستفيد الدعاة إلى اعتماد الدارجة المغربية لغة للتدريس والكتابة من التجربة اللبنانية والحل الذي انتهت إليه.

أقول لك إن اللبنانيين تخلصوا من



لم يسبق لي أن وصل إلى علمي، نجاح تجربة من التجارب التي دعت إلى التخلص من لغة قائمة الذات، وتبني لغة محلية ما زالت مادة في حكم الخام، وتحتاج إلى البناء وتحقيق التراكمات التاريخية حتى تقف على قدميها، وتنافس اللغة التي تسعى إلى إزاحتها.

المدرسة المغربية عوض العربية؟

○ هذا الحد الأدنى هو ما يدعو إليه الراغبون في اعتماد اللغة الدارجة لغة للتدريس والكتابة، ويحددون مجاله في مسألة ضمان حدوث التواصل، وضمان سبيل نجاح الطفل لما يلتحق بالمدرسة، في تحقيق الفهم والاستيعاب بلغته الأم. لمزيد من التوضيح فالحد الأدنى الذي يطالب به الدعوة إلى اعتماد الدارجة في التدريس، يتمثل حسب ما يدعون إليه، في التحدث إلى الطفل بلغته الأم التي تربي على التحدث بها واكتساب مهارات فهمها واستيعاب معانيها، في مرحلة روض الأطفال والسنوات الثلاث الأولى من التعليم الابتدائي. هذا المستوى الذي هو الحد الأدنى لما يطالبون به، إما هو موجود ومتحقق عمليا في تدريس الطفل لما يلتحق بالمدرسة، ولا يحتاج إلى تلك الدعوة التي لا محل لها مما هو عليه الأمر الواقع في العملية التعليمية بالمدرسة المغربية، وإما أنه غير موجود وعلينا العمل على إيجاده وتحقيقه بالعموم حتى نجد حلا لهذا المشكل، ونضع نقطة نهاية لدعوة اعتماد الدارجة التي لا تحمد عواقبها على مستوى قطع صلة المغربي بإرثه الثقافي العربي وإنجازاته التي لا يمكن للدارجة أن تعوضه وتحل محله.

✎ بالتالي أين يكمن المشكل؟ ولماذا خرجتم من مقبعم لتعارضوا الدعوة إلى اعتماد الدارجة المغربية لغة للتدريس؟

○ المشكل ياسيدي، يتمثل في المستويات التي ستلي السنوات الأولى من التعليم الابتدائي، لأن الدعوة إلى اعتماد الدارجة لغة للتدريس، لا يستوعبون أنهم سيدخلون الطفل في مآهات لا قدرة له على العثور على سبيل النجاح في الخروج منها سالما وغانما. أوضح أكثر، سيورط أصحاب هذه الدعوة الطفل في مآهات أننا نريد اعتماد الدارجة لأنها لغة التواصل والفهم السريع، وأنها لا نحارب الفصحى، وإنما نسعى إلى أن نخدم اللغة التي يتواصل بها المغاربة، ونعمل على أن تكون لغتنا الوطنية الخاصة بنا، وسنتجج بها أدبا خاصا بنا ويميزنا عما سوانا من شعوب الجوار الذين كانت تجمنا بهم لغة لم تعد قادرة على ضمان التواصل والغاية المتوخاة منه. هذا لن يتحقق إلا في المستقبل المستحيل. تعدني بمستقبل لغوي وردي، بينه وبين التحقق على أرض الواقع، ما بين الأرض والقمر. لهذه الأسباب التي ذكرتها فأنا واقعي على هذا المستوى، ولم يسبق لي أن وصل إلى علمي، نجاح تجربة من التجارب التي دعت إلى التخلص من لغة قائمة الذات، وتبني لغة محلية ما زالت مادة في حكم الخام، وتحتاج إلى البناء وتحقيق التراكمات التاريخية حتى تقف على قدميها، وتنافس اللغة التي تسعى إلى إزاحتها.

إن لغة القرآن تتضمن كلمات كثيرة ليست فصيحة، كلمات خاصة به. أريد في هذه النقطة بالذات الوقوف عند مسألة إعجاز القرآن، لأقول إن إعجازه يتحقق في كون لغته لا تشبه أي لغة عربية أخرى. هنا أشير بالمناسبة إلى كون ما أطلق عليه القدامى العربية الفصيحة، لا يبدو أن يكون لغة البدو التي لم تخالطها لغة الحضرة أو المدينة

الفصحى هي اللغة المكتوبة في كتاب واحد، لا يقرؤه الكثيرون ولا يستعمله أحد، وهذا الكتاب هو "مقامات الحريري". هذا الكتاب هو وحده يمثل اللغة الفصحى. القرآن ليس لغة فصحى لأن لغته في متناول الجميع، ولا يحتاج إلى القواميس والمعاجم لفهم لغته.

✎ كيف تحققت الفصحى في مقامات الحريري دون سائر المؤلفات التي كتبت بالعربية؟

○ سأوضح لك كيف تحققت الفصحى في مقامات الحريري. كان هدف الحريري من تأليف مقاماته، هو تعليم قارئه المفردات الخاصة كي تنجح في التأليف وكتابة الشعر وغيره، ولم يكن هدفه من المقامات الكتابة الفنية. كان هدفه لغويا صرفا، على العكس تماما من الهمداني الذي كان هدفه فنيا لأنه كتب مقاماته لغاية فنية لا دخل للتعليم فيها.

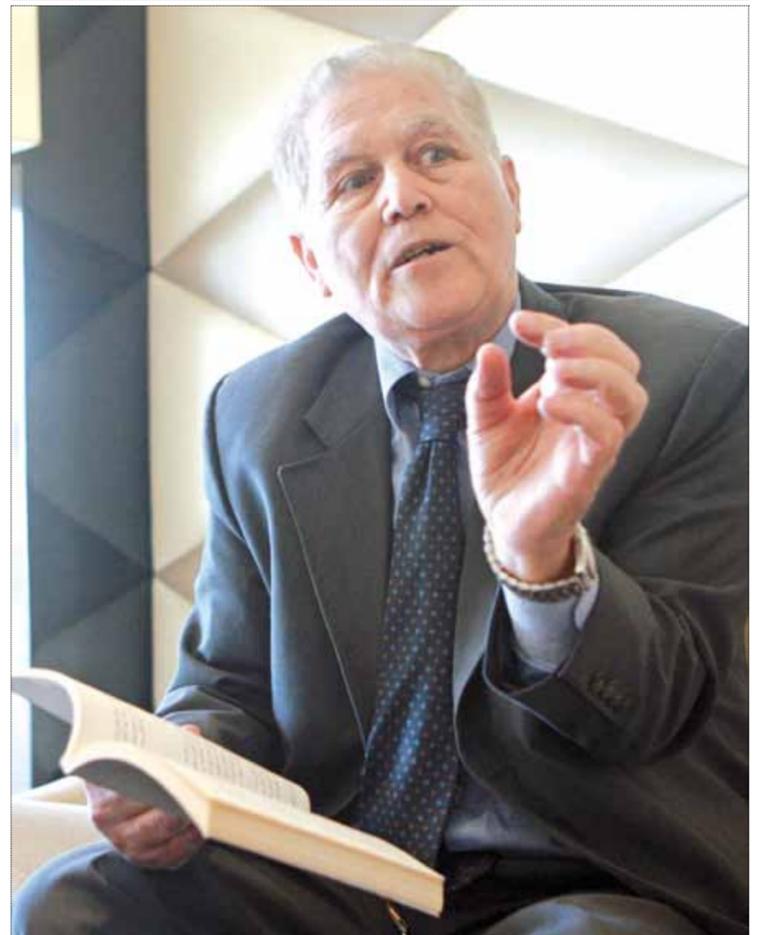
✎ على العكس، مقامات الحريري ناضجة فنيا مقارنة بمقامات الهمداني.

○ غير صحيح. مقامات الحريري مكتوبة بكلمات غير مفهومة ومتروكة ولا يستعملها أي متكلم في لغته. جرب أن تقرأ مقامات الحريري، واختر مدي قدرتك على استعمال المفردات التي كتبها بها في ما ستكتبه وتوجهه إلى القراء ليقرؤوه ويفهموه دون حاجة إلى القواميس والمعاجم.

✎ قلتم إن القرآن نفسه ليس عربية فصحى، كيف؟!

○ بدليل أن القرآن يتضمن كلمات كثيرة ليست عربية فصيحة. لن أدخل هنا في التفاصيل التي تحتاج إلى دراسة مستقلة عما نحن في غمار الخوض فيه، لكنني سأكتفي بالقول إن لغة القرآن تتضمن كلمات كثيرة ليست فصيحة، كلمات خاصة به. أريد في هذه النقطة بالذات الوقوف عند مسألة إعجاز القرآن، لأقول إن إعجازه يتحقق في كون لغته لا تشبه أي لغة عربية أخرى. هنا أشير بالمناسبة إلى كون ما أطلق عليه القدامى العربية الفصيحة، لا يبدو أن يكون لغة البدو التي لم تخالطها لغة الحضرة أو المدينة، ولا اعتقد أن الفصحى له علاقة بالتمجيد، على العكس تماما، ففي القرن الثاني والثالث للهجرة صارت لغة البدو تعتبر لغة "الهمج".

نعم، القرآن ليس لغة فصحى



هذا الكلام ينافي كون رواة اللغة العربية وعلمائها كانوا يقطعون الفياقي والأراضي الفقار ليتصلوا بالبدو ويسمعوا منهم مباشرة ودون وسائط، العربية الحقيقية والنقية من فساد عربية سكان المدن التي أصابها النحل أو آفة التطور والاستعمال اليومي، وأظن أننا لم نبتعد عن موضوعنا لأن ذلك النحل هو أصل العربية الأخرى التي صارت دارجة أو عامية مقارنة بالعربية الفصحى.

قضية تأسيس العربية الفصحى كما وصلتنا لها علاقة بالسياسة، لأن الحكام كانوا عربا وخضوعوا المدة قصيرة، لنوع من الأبنزاز من طرف العرب الأقحاح الذين كانوا يطالبون بنصبيهم من موقع كون الدين الإسلامي دينهم واللغة العربية لغتهم، وأنهم هم من أوصلوا الأمويين إلى سدة الحكم، وعلى الحاكمين أن يخضعوا لمطالب الذين أوصلوهم إلى سدة الحكم. أظن أن لا غرض لنا بالدخول في هذه التفاصيل والحيثيات التي لن نفيدنا في موضوعنا الذي نحن بصدد دراسته.

✎ لنترك هذا الموضوع الشائك لمؤرخي اللغة العربية وأسباب مشاكلها، ولنعد إلى توصية ندوة "سبيل النجاح" التي دعا فيها رجل التواصل، نبيل عيوش، إلى اعتماد الدارجة المغربية لغة للتدريس في المدرسة المغربية.

○ طيب، أعود إلى موضوع حوارنا لأقول إن الذين خاضوا في موضوع العربية والدارجة، سقطوا في الخلط بين شقين اثنين. هناك الشق التقني التربوي، وأقول في هذا الشق إن ما يطالب به الدعوة إلى اعتماد اللغة الدارجة لغة للتدريس والكتابة، هو الحد الأدنى، وهذا الحد موجود ومتحقق، وحتى إن لم يكن موجودا فعليا أن نعمل على إيجاده وتحقيقه على أرض الواقع.

✎ ما هو هذا الحد الأدنى الذي نتحدثون عنه الآن على مستوى اعتماد التدريس بالدارجة المغربية في

المشكل يا

سيدي، يتمثل في المستويات التي ستلي السنوات الأولى من التعليم الابتدائي، لأن الدعوة إلى اعتماد الدارجة لغة للتدريس، لا يستوعبون أنهم سيدخلون الطفل في مآهات لا قدرة له على العثور على سبيل النجاح في الخروج منها سالما وغانما.

على سبيل الاستهلال اللابد منه



عبد الله العروى
مفكر ومؤرخ مغربي

أرفض الاتجاه الذي يسعى إلى أن تصير ثقافة المغاربة ثقافة فلكلورية

المدرسة، مجال مضبوط للانتقال من الشفوي إلى الكتابي

اعتماد الدارجة حط وتبخيس من قيمة المغرب والمغاربة
عليك أن تعثر على سيوييه جديد قادر على دراسة الدارجة

مشكل

اللغة العربية أنها ليست

أبجدية وإنما نصف أبجدية. ليس هذا عيبا فيها وإنما هي خصوصية تجعلها لغة يتكسبها المتكلم بها على شقين، الشق الأول يتعلق بتعلم الحروف، ثم تعلم الحركات التي تحرك تلك الحروف، ليصير النطق أو القراءة عبارة عن تحريك ذلك الجسم الذي هو، مثلا، «كتب» أو «كتاب».

ما علاقة هذا الكلام بالوضع الحالي للغة العربية والدعوة إلى تعويضها بالدارجة؟

○ لأجيب عن سؤالك سأضطر إلى الابتعاد قليلا عما تطلب مني. مشكل اللغة العربية أنها ليست أبجدية وإنما نصف أبجدية. ليس هذا عيبا فيها وإنما هي خصوصية تجعلها لغة يتكسبها المتكلم بها على شقين، الشق الأول يتعلق بتعلم الحروف، ثم تعلم الحركات التي تحرك تلك الحروف، ليصير النطق أو القراءة عبارة عن تحريك ذلك الجسم الذي هو، مثلا، «كتب» أو «كتاب».

هذا في السنة الأولى فقط، لأن الطفل الثاني سيقرا الحروف اللاتينية بسهولة. أما إذا علمت الطفل الأول تلك الخطاطات في السنة الثانية، وسهرت على أن يستوعبها ويضبط قواعدها، فسيفوق على الطفل الثاني في السنة الثالثة من تعلمها للغة العربية، وسيكون أسرع في القراءة والفهم. أريد هنا أن أقف عند الذين خدموا اللغة العربية وفقدوا لها، وهم في غالبيتهم ليسوا عربا، وإنما من بلاد فارس وغيرها. سيوييه ليس عربيا، وخدم اللغة العربية.

فعلتم حسنا وأنتم تثيرون شكل اللغة العربية، لأن هذا الشكل هو سبب أزمته، خاصة على مستوى قراءة الطفل للكلمات بما أنه يصير مطالبا بفهم حركات حروف تلك الكلمات قبل قراءتها، ثم يقوم بقراءتها إن هو نجح في المهمة، لينتقل إلى فهم معانيها، ألا ترون أنها عملية معقدة؟

○ أنت لا تريد أن تفهم ما أقول، وتميل إلى النقاش الفارغ. أعود يا سيدي، إلى الحديث عن الدارجة التي تزيديون تدريس الطفل بها، ولنفرض أنها دارجة واحدة ومستقرة وستحافظ على استقرارها لمدة طويلة قد تستغرق عشرين أو ثلاثين سنة. كل هذا غير مؤكد وغير مضمون، ومع ذلك أسأرك في الانتقال بها إلى مستوى الكتابة، وستكتبها

وصلنا إلى المرحلة الرابعة من حديث الكبير عبد الله العروى في المسألة اللغوية، ووصل إلينا صدى الناس وانتظارهم لما قاله الأستاذ، مثلما وصلت إلينا نقاشات المغاربة إن في الشارع أو في منتديات التواصل الاجتماعي وهم يقبلون على الحوار ككل، ويعتبرونه حدث الساعة الثقافي، ويعبرون كل من وجهة نظره عن موقفه من الذي يقال ويكتب الآن.

هذا النقاش هو ماسعينا إليه ونحن نفتح الأذرع والأحضان للدرر الثمينة التي قالها الأستاذ لإحساسنا أن المغاربة ينتظرون مثل هذا النوع من المحاور، ولإيماننا أن الصحافة عليها أن ترتقي بالفعل في ممارستها اليوم من التنافس حول من سينزل إلى الحضيض أكثر، لكي تأخذ الطريق المعاكس، وتسلك الوجهة الأخرى، وجهة من يستطيع أن يصعد بالناس إلى أعلى.

في الحلقات السابقة من المحاور اللغوية مع الكبير العروى تضرع النقاش إلى الحديث عن الدارجة وإمكانات الاستعمال الحقيقية لها في التدريس، مثلما مررنا من لغة القرآن ومدى فصاحتها، وأعطى الأستاذ البرهان على أن ما ينتظر الأمة اليوم هو الحفاظ على ثقافتها لا فقط على لغتها وأن الرهان هو رهان تخلف فكري وضرورة التخلص منه، مثلما انتقلنا في المحاور الممتعة مع رجل من حجم العروى إلى أصحاب الدعوة الخاصة بتدريس الدارجة، ومساءلتهم عن الإمكانية الفعلية والحقبة لذلك.

انتقل بنا أستاذنا أيضا إلى النماذج السابقة في مجال التدريس، وفتح القوس عاليا عن ضرورة الانتساب للعصر اللغوي الذي نحن فيه، وفي الجزء الرابع الذي ينشر اليوم، مثلما في الجزء الخامس والأخير الذي سينشر يوم الإثنين المقبل، تتواصل عملية التلخيص لأهم ما قيل في الحوار، وتتواصل عملية التنصيص على ضرورة أن يتواصل النقاش وأن يتحدث أهل العلم والخبرة فيه لأنه حساس ويعني كل المغاربة ويعني مستقبلهم، ويعني كل ماسيقع في بلدكم لاحقا.

لتواصل الاستماع ولتقبض على لحظة المتعة المعرفية هاته بكل قوانا، فهي الدليل على أن المغرب سيظل قادرا من خلال أبنائه الكبار على أن يسمع صوته في اللحظات الحاسمة. نتابع

كلام لابد منه:

سمرنا كثير السرور بردود الأفعال التي عبر عنها عدد كبير من القراء المحترمين، وجاءتنا الاتصالات الهاتفية الداعية إلى جعل لحظة حوار العروى أو محاورته لحظة لدعوة المغاربة ومنتقبيهم على وجه الخصوص من أجل الالتحاق بهذا النقاش وإشباعه بحثا وتحليلا لكي نعطي الدليل جميعا على أننا نعرف مدى حساسية اللحظة، ومدى ضرورة أن نقول الرأي فيها بكل وضوح وبكل اختلاف وبكل ود جميل يتسع لكل المغرب الذي نحن فيه والذي يتسع لكل تناقضاتنا مهما بدت لنا كبيرة.

حاوره: المختار لغزيوي / جمال زايد تصوير: محمد وراق

ولا فإن المدرسة ستنافس البيت في مهمته التربوية والتعليمية.

○ لنتمهل قليلا عند مثال الأستاذ البيضاوي الذي عينته الوزارة في مدرسة ابتدائية بشفشاون، ونطلق منه لنقف وإياكم على المشاكل التي يستدعيها التدريس بالدارجة واعتمادها بالتالي لغة للكتابة، ما هي هذه المشاكل؟

○ لن أدخل مرة أخرى في التفاصيل،

يظهر من كلامكم إلى حد الآن، أنك لا تعارضون التدريس بالدارجة، لأن ذلك التدريس أمر واقع في السنوات الأولى من الابتدائي، ولكنكم تحفظون وتعارضون ترسيم الأمر حتى لا تحدث القطيعة مع الإرث الثقافي العربي، هل هناك موانع أخرى ترونها وجيهة في الرد على الدعاة إلى ذلك الترسيم؟

○ طبعاً هناك موانع أخرى، وأكتفي بمثال بسيط ولكنه دال. هؤلاء الذين يدعون إلى التدريس بالدارجة، يرفضون استشراف ما ينتظر هذه المغامرة من مشاكل على أرض الواقع. تخيل معي، أنا أستاذ التعليم الابتدائي قادم من الدار البيضاء وأتقن التحدث بالدارجة البيضاوية وأجهل التحدث بأي دارجة أخرى، عينتني الوزارة في مدرسة ابتدائية بمدينة شفشاون. التحقت بموقع تعييني، وفوجئت منذ وصولي بكون أهل هذه المدينة يتحدثون بدارجة أجد صعوبات كبيرة في استيعاب طريقة نطقها وكلماتها وكذا تركيبها. هذا مشكل كبير سيواجهني في التواصل مع تلامذتي، هل أتحدث إليهم بالدارجة البيضاوية التي أتقن التحدث بها؟ لن يفهموني، إذن علي أن أتعلم التحدث بلهجتهم حتى أضمن نجاح التواصل. سينقلب الدور، وسأضطر إلى تعلم دارجة شفشاون من تلامذتي! سيصير التلميذ الشفشاوني معلما! وسينقلب العلم البيضاوي إلى متعلم! إذا كان هذا الوضع هو ما يسعى إليه المطالبون باعتماد الدارجة في المدرسة المغربية، فهذه المدرسة لن تصلح لأي شيء! هذا ما قاله صاحبنا الثقافي "التعليم بيتي"، ولا حاجة لنا بمؤسسة المدرسة بما أن الأم ستقوم بالمهمة التربوية والتعليمية، وستصلح شأن أبنائها وناتها. انتبه، فأننا لم نبتعد هنا عن موضوعنا الشائك، وأنوب عن الدعوة إلى التدريس بالدارجة، لأجعلهم يقفون على منطلق ما يدعون إليه. إذا اعتمدنا الدارجة في التدريس وتعليم الطفل فلا حاجة بالمدرسة، لأن البيت يمكن أن يقوم بهذه المهمة أحسن قيام، بما أن اللغة المعتمدة هي لغة البيت،



على سبيل الاستهلال اللابد منه



عبد الله العروى
مفكر ومؤرخ مغربي

كيف لا أغضب وشخص غريب عن المجال يريد فرض رأيه الشخصي على المغاربة، فقط لأنه يتوفر على قناة اتصال بأصحاب القرار؟! لا أريد أن أشارك في هذه العملية الانتحارية

هذه هي عقيدتي في مواجهة هذه الشعبية الجديدة

سكنت به تلك الدارجة! هل فكر الذين دعوا إلى التعلم بالدارجة وتعميمها، في ما دعوا إليه؟! كل هذا لأقول أنا مغربي وأحدث لغتي المغربية وأدرس بها وأكتب، كما الكندي الذي يسكن منطقة الكيبك ويتحدث بالفرنسية. تريد لعنك، لك ما أردت، لكن لا تفرض إرادتك على المغاربة. المغاربة ورثوا اللغة العربية، وأنا لا لي دخل في مسألة هذا الإرث، تستعملها مجموعة بشرية لها وزن في العالم. نعم العربية لغة تعاني من مشاكل، ولكنها لغة موجودة وتحمل إرثا ثقافيا كبيرا وغنيا، وإذا كنا نغاني من تخلف فكري فلأن الجديد يصل إلينا بوساطة وبعد خمس أو عشر سنوات. الأمر نفسه يعيشه الإسبان والشعوب الناطقة بالإسبانية، على الرغم من أنهم لا يعانون من مشكل الفرق بين اللغة المحكية واللغة المكتوبة. الأمر نفسه يعيشه الإيطاليين مقارنة بالفرنسية، وهذه الأخيرة مقارنة بالإنجليزية. هذا لا يعني أن نتخلى عن العربية، ونعود إلى نقطة الصفر، ونقوم بما قام به العرب في عصر التدوين، ندون الدارجة لأنها لغة الأم، ونختارها لغة للتدريس والكتابة! تريد أن تعود بي القهقري أربعة عشر قرنا إلى الخلف! كيف لا أغضب وشخص غريب عن المجال يريد فرض رأيه الشخصي على المغاربة وعلى مستقبل البلاد، فقط لأنه يتوفر على قناة اتصال بأصحاب القرار، ويريد إلزام الدولة بالتدخل؟! أنا من جهتي، لا أريد أن أشارك في هذه العملية الانتحارية. هذه هي عقيدتي في مواجهة هذه الشعبية الجديدة، الشعبية وليس الشعبية...

انتهى

تصوروا
معي ما ستقولون به كاهل
الطفل الصغير، ستعلمونه الحرف
العربي والحرف اللاتيني وتيفيناغ، ولا
تقفون عند هذا الحد، بل تطالبون منه أن
يتعلم بالدارجة كما في البيت، وأن يكتبها، ولا
نعرف إلى حد الآن الحرف الذي ستكتب به
تلك الدارجة! هل فكر الذين دعوا إلى
التعلم بالدارجة وتعميمها، في ما
دعوا إليه؟!



أثناء لقاءاتي بالمشاركة في باريس وغيرها، ففسي الوقت الذي أقرأ فيه ديكارت في نصه الفرنسي وأعمل جاهدا على فهمه، يكتبني غييري بالاطلاع على ملخص بالعربية ما كتبه ديكارت، ويظنون أنهم قرؤوه وفهموه. لو فرض علينا الفرنسيون اللغة الفرنسية أثناء الحماية، وأصبحت لغة الحديث والكتابة كما فعلوا في إفريقيا السوداء، لما كان لي اعتراض على الأمر، لأننا كنا سنستوعب الفكر الحديث، ولكن ذلك لم يحدث لأن الفرنسيين لم يريدوا فرنسنا، ووجدنا أنفسنا أمام اللغة العربية، ومن حسن حظنا أننا لسنا وحدنا في هذه المسألة. هناك العرب من لبنانيين ومصريين وسوريين وعراقيين، وتضافرت جهود الجميع لحل المشكل. والان تعرف الترجمة مع أموال البترول، حركة لأبأس بها، وعضو الدفع بهذه الحركة في المغرب، نفاجا بمن يتبرأ من العربية ويريد الكتابة بالأمازيغية، ومن يدعي أن العربية لم تعد تليق بنا ولا تصلح لتدريس أبنائنا. لا دخل لي في ما تريدون، واختاروا اللغة التي تريدون، ولكن اعلموا أن الوقت الذي ستقضونه في خدمة تلك اللغة، هو وقت ستضيعونه في تعلم هذه اللغة الجديدة، ولن تستطيعوا استدراك ما ضاع منكم. تصوروا معي ما ستقولون به كاهل الطفل الصغير، وتيفيناغ، ولا تقفون عند هذا الحد، بل تطالبون منه أن يتعلم بالدارجة كما في البيت، وأن يكتبها، ولا نعرف إلى حد الآن الحرف الذي

المعدودة تشكل بداية، وتحقق تراكما في خدمة الدارجة وتعاونها الحواري مع ما تسميه العربية.

عوض أن أخدم الدارجة، أفضل ترجمة مؤلفات روسو إلى العربية، لأن تلك الترجمة ستكون تعريبا لأفكار جديدة، تساهم في تغيير منظومتنا الفكرية. أفضل ترجمة مونتيسكيو، وترجمة نظريات في التاريخ عرض مضبوطة الوقت في الكيفية التي سأكتب بها "ثمان الخضرا اليوم بشحال؟". هذا ليس مقولا. أفضل الترجمة عن هدر الوقت والطاقات في أمر لن يفيدنا. إذا زرت لبنان وتحدثت للبنانيين، ستجدهم أنهم يقولون العبارة باللبنانية ثم يترجمونها إلى الفرنسية أو الإنجليزية، لأنهم شعب يعيش الترجمة، ولكن هذا الانتقال الدائم من لغة إلى لغة أخرى، انتقال يغيب الإبداع، ويجعلك تتوهم أنك تحقق تقدما حين تترجم ما تقوله بلغتك إلى لغة أخرى. هناك حقيقة لا يمكن إنكارها، الإبداع العلمي والفني والعلمي، يتحقق الآن عند الناطقين بالإنجليزية، لأنهم يستغلون ما ستضيعه أنت من وقت في الاشتغال على لغتك الشفوية والزهران على التعليم بها، يستغلونه في تطوير معارفهم والتركيز على المفاهيم وضبط المعلومات. لهذا أريد أن أوضح موقفك مما يقع الآن في المغرب، وأريد الكشف عن سبب غضبي. مشكلنا ليس هو التأخر الاقتصادي أو العلمي، بل مشكلنا هو مشكل تأخر فكري، أي أن المفاهيم التي توصل إليها الآخرون لم تصلنا بعد. هذه المفاهيم لا يمكن أن تصل إليها، إلا إذا تعلمت لغة أجنبية وأتقنتها. لذلك فالمستوى الفكري الذي يصل إليه الأشخاص الذين تعلموا الفرنسية أو الإنجليزية واتقنوها، ليس هو مستوى الأشخاص الذين اكتفوا بالعربية. هذه مسألة لاحظتها مرارا



وصلنا إلى المرحلة الخامسة والأخيرة من حديث الكبير عبد الله العروى في المسألة اللغوية، ووصل إلينا صدى الناس وانتظارهم لما قاله الأستاذ. مثلما وصلت إلينا نقاشات المغاربة إن في الشارع أو في منتديات التواصل الاجتماعي وهم يقبلون على الحوار ككل، ويعتبرونه حدث الساعة الثقافي، ويعبرون كل من وجهة نظره عن موقفهم من الذي يقال ويكتب الآن.

هذا النقاش هو ماسعينا إليه ونحن نفتح الأذرع والأحضان للدرر الثمينة التي قالها الأستاذ لإحساسنا أن المغاربة ينتظرون مثل هذا النوع من المحاور، ولإيماننا أن الصحافة عليها أن ترتقي بالفعل في ممارستها اليوم من التنافس حول من سينزل إلى الحضيض أكثر، لكي تأخذ الطريق المعاكس، وتسلك الوجهة الأخرى، وجهة من يستطيع أن يصعد بالناس إلى أعلى.

في الحلقات السابقة من المحاور اللغوية مع الكبير العروى تضرع النقاش إلى الحديث عن الدارجة وإمكانات الاستعمال الحقيقية لها في التدريس، مثلما مررنا من لغة القرآن ومدى فصاحتها، وأعطى الأستاذ البرهان على أن ما ينتظر الأمة اليوم هو الحفاظ على ثقافتها لا فقط على لغتها وأن الرهان هو رهان تخلف فكري وضرورة التخلص منه، مثلما انتقلنا في المحاور الممتعة مع رجل من حجم العروى إلى أصحاب الدعوة الخاصة بتدريس الدارجة، ومساءلتهم عن الإمكانية الفعلية والحقبة لذلك.

انتقل بنا أستاذنا أيضا إلى النماذج السابقة في مجال التدريس، وفتح القوس عاليا عن ضرورة الانتساب للعصر اللغوي الذي نحن فيه، وفي الجزء الخامس والأخير الذي ينشر يومه الإثنين، تتواصل عملية التلخيص لأهم ما قيل في الحوار، وتتواصل عملية التنقيح على ضرورة أن يتواصل النقاش وأن يتحدث أهل العلم والخبرة فيه لأنه حساس ويعني كل المغاربة ويعني مستقبلهم، ويعني كل ماسيق في بلادهم لاحقا.

لنواصل الاستماع ولنقبض على لحظة المتعة المعرفية هاته بكل قوانا، فهي الدليل على أن المغرب سيظل قادرا من خلال أبنائه الكبار على أن يسمع صوته في اللحظات الحاسمة. نتابع

كلام لابد منه:

سمرنا كثير السرور بردود الأفعال التي عبر عنها عدد كبير من القراء المحترمين، وجاءتنا الاتصالات الهاتفية الداعية إلى جعل لحظة حوار العروى أو محاورته لحظة لدعوة المغاربة ومثقفهم على وجه الخصوص من أجل الالتحاق بهذا النقاش وإشباعه بحثا وتحليلا لكي نعطي الدليل جميعا على أننا نعرف مدى حساسية اللحظة، ومدى ضرورة أن نقول الرأي فيها بكل وضوح وبكل اختلاف وبكل ود جميل يتسع لكل المغرب الذي نحن فيه والذي يتسع لكل تناقضاتنا مهما بدت لنا كبيرة.

حاوره: المختار لغزيوي / جمال زايد تصوير: محمد وراق

العربية.

انطلاقا مما جاء في "ديوان السياسة" حول الدارجة، ماذا لو تفضلتم وتوسعت أكثر في ذكر سلبيات اعتماد تلك الدارجة لغة للتدريس والكتابة.

السلبية الأساسية لذلك الاعتماد، تتمثل في العبء الاقتصادي. بلد فقير يعاني من مشاكل كثيرة، وتضيف إليها مشكل خلق لغة جديدة، والمورد البشري الذي سيستخدم تلك اللغة، زيادة على المعاهد وتآليف المعاجم والكتب المتخصصة في دراسة هذه اللغة التي تسعى إلى الانتقال بها من المستوى الشفوي إلى المستوى الكتابي. كل ما ستحققه أنها ستوجد مناصب شغل لكثير من الدكاترة المتخصصة في اللغويات. هذا كل ما ستحقيقه من العملية برمتها. لهذه السلبيات فأنا مع تعميم الفصحى وتخفيض مستواها حتى تنزل بها إلى أفهام العامة، وبالتالي مغربية العربية الفصحى. من سيعارض هذه العملية؟!

على العكس، سيكون ذلك هدفا مثاليا.

أنت لا تقول بمغربية الفصحى لأنك تسعى إلى اعتماد الدارجة في المدرسة والكتابة. هذا التعميم إذا حصل بالفعل، قد يتطور إلى حد أن تتميز العربية الفصحى المغربية عن غيرها. هذا ما كتبه في "ديوان السياسة"، وما زلت أدافع عنه، لأن العربية المغربية المكتوبة تختلف عن العربية الشرقية المكتوبة، وبالتالي فمغربيت تكون بالفصحى وغير الفصحى، وليس بالدارجة المكتوبة بالضرورة، وإذا أردت أن تكون مغربيا، كن مغربيا بالتفكير، وانفصل عن المشاركة بالفكر، وليس باللغة فقط. وإذا أردت أن تبذل جهدا لتطويع الدارجة والانتقال بها إلى مستوى المكتوب، فلماذا لا تبذل ذلك الجهد لتطوير الفصحى المغربية التي هي لغتنا؟ نتحدثون عن العربية كأننا في القرن الثاني الهجري الذي وصل فيه إلى المغرب ناس يتحدثون بلغة لا تمت إلى لغتنا بصلة! العربية لغة مغربية، وهناك قبائل مغربية كثيرة قدمت من الشرق، ولغتها الأصلية هي



تلك الصفحات